

تأمل... استخدام السلطان¹

في تجربة السيد المسيح على الجبل قال له الشيطان "إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللَّهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هَذِهِ الْحِجَارَةُ حُبْرًا" (مت 4: 3). وكان السيد المسيح يستطيع أن يحول الحجارة إلى خبز، فهو قادر أن يقيم من الحجارة أولاً إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ، وهو الذي قال لليهود يوم دخوله أورشليم رداً على احتجاجهم بخصوص تسبيح الأطفال "لَوْ سَكَتْ هُؤُلَاءِ لَكَانَتِ الْحِجَارَةُ تَنْطَقُ".

ولكن السيد المسيح كان قد وضع أمامه مبدأ هاماً وهو عدم استخدام لاهوته من أجل راحته الجسدية، كان يمكنه بقوّة لاهوته أن يجعل نفسه لا يجوع، ولا يعطش، ولا يتعب، ولا يتالم.. ولو فعل ذلك لصار تجسده شكلياً!! لذلك رفض الرب أن يستخدم لاهوته من أجل راحته الجسدية.

ولكنه استخدام لاهوته من أجل راحة الناس كما حصل في معجزة اشباع الجموع من الخمس خبزات.

ويحمل قرار المسيح تصميماً آخر وهو بعد عن استخدام السلطان عموماً إلا في الضرورة. لقد اعتدى عليه اليهود بكافة أنواع الاعتداءات: شتموه وأهانوه. قالوا عنه إنه أكول وشريف خمر، وقالوا إنه يبعزبوب يخرج الشياطين، وقالوا أنه سامرٍ وبه شيطان، وقالوا إنه كاسر للسبت، وأنه ناقض للناموس، وأنه مجده، وأنه ضال... وكان بسمع ويسكت.. لم يستخدم سلطانه في معاقبتهم.

بل على العكس عندما ألح عليه تلميذه أن يعاقب، رفض واعتبر ذلك تكراراً لتجربة الجبل تكراراً لمحاولة الروح الشرير أن يقنعه باستخدام سلطانه من أجل ذاته. حدث ذلك عندما رفضت أحدي بلدان السامرة أن تقبله. فقال له تلميذه "انشاء يا رب أن تنزل ناراً فترحق هذه المدينة؟". فأجابهما في عتاب.. لستما تعلمان من أي روح أنتما..

إن الرب يحب أن يبتعد على الدوام عن استخدام سلطانه. ما أكثر الذين يجذبون عليه في أيامنا هذه، وما أكثر الذين ينكرون وجوده، وما أكثر الذين يعصون أوامره، وما أكثر الذين يتهمون ويستهذنون. والله يترك كل هؤلاء، دون أن يعاقب ودون أن يحطم!!

وكل الذين يحرضونه على انزال نار من السماء لتأكل هؤلاء وأولئك، يجيبهم بنفس العبارة "لستما تعلمان من أي روح أنتما".

¹ مقالة لنيافة الأنبا شنوده أسقف التعليم: تأمل... استخدام السلطان مجلة الكرامة: مارس وأبريل/ 1967